

«العلاقة السياسية لأشراف مكة بنجد في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي في الفترة من ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م وحتى ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م

إعداد : صالح حمد علي الصقري

شهد العالم الإسلامي في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري ، ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وقيام حكومة سياسية في إقليم نجد على أساس تطبيق هذه الدعوة ونشرها في الأقاليم الأخرى ، وكان ذلك إيذاناً بظهور أحداث ومتغيرات سياسية ضخمة في الجزيرة العربية وخارجها ، وبالأخص في إقليم الحجاز ، الذي اتخذ حكامه موقفاً سياسياً عدائياً ضد حكومة نجد منذ البداية ، ولكن رغم ذلك فالعلاقات السياسية بينها لم تتخذ سمة بارزة إلا في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، حينما قام الشريف غالب فجأة بقطع مفاوضاته السلمية مع نجد وإعلانه القيام بهجوم عسكري في سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م ، وبذا دخل في صراع سياسي وعسكري عنيف استمر قرابة ثلاثين عاماً تخلله بعض الفترات السلمية وكان لذلك نتائج وآثار كبرى في العالم الإسلامي بأسره .

هذه الفترة التاريخية بما تضمنته من أحداث ضخمة هي التي تمثل العلاقات السياسية الجديدة بين الحجاز ونجد والتي كانت موضوع هذه الرسالة .

ولقد كانت هناك عوامل دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع من أهمها ما يلي :

أولاً : إبراز فترة تاريخية تعتبر من أهم فترات تاريخنا السياسي الحديث نظراً لما خلفته من نتائج خطيرة كان لها أثر كبير على مستقبل الحياة السياسية للعالم الإسلامي في تلك الفترة ، ولو لم يكن لهذه الفترة التاريخية من أهمية إلا لكون أحداثها قد جرت على أرض بلاد الحرمين الشريفين وبجوار الأماكن المقدسة لكان ذلك وحده كافياً في أن تنال جزءاً من اهتمام الباحثين للقيام بدراستها وتحليلها .

ثانياً : الكشف عما أحاط بتلك الفترة من غموض والتباس ، نتيجة لكون أغلب من كتب عن تلك الفترة من المعاصرين لها كانوا يمثلون وجهات نظر معينة تمنعهم من إبراز الحقيقة التاريخية كما ينبغي إبرازها دون تغيير أو تحوير فيها لأجل أن تكون في صالح طرف دون الآخر وبذلك اختلطت كثير من الحقائق التاريخية في تلك الفترة في أذهان بعض من حاول دراستها في العصر الحاضر .

ثالثاً : محاولة الوصول إلى قواعد أساسية تفيد في أي دراسة للحياة السياسية في الحاضر أو المستقبل وبالأخص في مجال النظم والعلاقات السياسية المعاصرة ، لأن تلك الفترة تشتمل على أحداث سياسية ضخمة مليئة بالعبر والدروس السياسية التي قد تفيد القادة السياسيين في الحاضر أو المستقبل .

رابعاً : إنه عن طريق هذه الدراسة نستطيع الوصول إلى معرفة موقف الدولة العثمانية من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونعرف السري وقوع الصدام بينهما على الرغم من أنها ينتميان إلى المذهب السني ونكون بذلك قد استطعنا أن نبرز حقيقة تاريخية غامضة تفيد كثيراً من الباحثين وبالأخص بعض أولئك المتطرفين الذين يحملون مسؤولية ما حدث بينهما طرفاً دون الآخر فيكون الباحث بذلك قد أدى جزءاً من الواجب الملقى على عاتق الدارسين تجاه تاريخنا الإسلامي الحديث .

هذا وقد انقسمت هذه الرسالة إلى خمسة فصول ومقدمة وخاتمة .
وقد اشتمل «الفصل الأول» الحديث عن نبذة موجزة عن الوضع السياسي في الحجاز ونجد قبيل القرن الثالث عشر الهجري ، وهي عبارة عن مقدمة أساسية تمهد الطريق للدخول في الموضوع الأساسي للبحث .

وأما «الفصل الثاني» فقد خصصه الباحث للحديث عن العوامل المباشرة وغير المباشرة التي كان لها أثر كبير في ظهور العلاقات السياسية الجديدة بين الحجاز ونجد في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري .

وأما «الفصل الثالث» فقد تحدث فيه عن السمة البارزة لهذه العلاقات الجديدة والتي

اتضح أنها اتخذت طابعاً عدائياً منذ البداية ، فتجسدت وللأسف في صراع عنيف بين الطرفين استمر قرابة ثلاثين عاماً وكان هذا الصراع يسير على مراحل مختلفة وقد تحدث الباحث عن المرحلة الأولى في هذا الفصل والتي كان فيها أشرف الحجاز يقومون بدور الهجوم على نجد لأنهم لا يزالون يملكون زمام المبادرة لكونهم في موقف سياسي أحسن بكثير من الموقف السياسي بنجد ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً فقد تغير ميزان القوى لصالح حكومة نجد مما نتج عن ذلك ظهور المرحلة الثانية من مراحل العلاقات السياسية بين الطرفين وقد خصص للحديث عنها «الفصل الرابع» وقد تبين فيه أن هذه المرحلة تعتبر من أهم هذه المراحل ، فلقد كان الصراع السياسي والعسكري في هذه المرحلة على أشده حيث كانت حكومة نجد قد وصلت في هذه الفترة إلى مركز سياسي وعسكري قوي واستطاعت أن تقلب موازين هذه المرحلة لصالحها فقد استطاعت جيوشها أن تدخل مكة معلنة بذلك دخولها في طاعة حكومة نجد وكان هذا الأمر يعتبر حدثاً ضخماً فلأول مرة يصبح أشرف الحجاز خاضعين لسلطة سياسية في نجد ، ولأول مرة يخرج الحجاز عن تبعية الدولة العثمانية منذ أن أعلن دخوله في طاعتها ، وقد بين الباحث هذا كله عندما تحدث عن النتائج التي خلفتها هذه المرحلة ، كما أنه تحدث في هذا الفصل عن العوامل التي كانت وراء حصول حكومة نجد على هذا المكسب السياسي الهام والخطير والذي يعتبر بالنسبة لها أعظم نصر سياسي وعسكري حصلت عليه منذ قيامها ، وبعد ذلك انتقل إلى الحديث عن أهم الأعمال التي قام الأمير سعود بتنفيذها في الحجاز سواء أكان ذلك من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الدينية في هذه الفترة ، ولكن الوضع لم يدم طويلاً فالدولة العثمانية انزعجت لخروج الحجاز عن تبعتها ، مما كان سبباً في حدوث الصدام المباشر بين الدولة العثمانية وحكومة نجد ، الأمر الذي كان سبباً في ظهور المرحلة الثالثة من مراحل العلاقات السياسية بين الطرفين ، وقد أفرد الباحث للحديث عنها فصلاً خاصاً هو «الفصل الخامس» وقد بين أن هذه المرحلة تمثل الدور النهائي في هذه العلاقات حيث تم تسيير الجيوش التركية المصرية إلى الحجاز عن طريق مصر والتي استطاعت فيما بعد أن تستولي على الدرعية ، وقد تحدث عن العوامل التي كانت وراء الهزيمة السياسية والعسكرية التي لحقت بحكومة نجد ، وعن الآثار والنتائج التي ترتبت على ذلك . وبالانتهاء من الحديث عن هذا العنصر انتهى الباحث من الحديث عن الفصل الخامس والأخير من فصول هذه الرسالة ، وبعد ذلك انتقل إلى الخاتمة وقد

استعرض فيها أهم ما توصل اليه من نتائج ودروس وعبر والتي يمكن أن يستفاد منها في الحياة السياسية المعاصرة وقد ذكر أن أبرز هذه الدروس هو أن اختلاف الأمة الواحدة ووقوع الصراع بين أفرادها سيؤدي لا محالة إلى نتائج سلبية يكونون هم ضحية لها ومجالاً للتدخل الأجنبي في شؤونها ، وهذا ما يفرض على الشعوب الإسلامية عامة أن تعي هذا الدرس التاريخي الهام وتستفيد منه في بناء حياتها المعاصرة من أجل إيجاد جيل تربط بين أفرادها روابط العقيدة المشتركة .

ولن يتم ذلك إلا عندما يقوم القادة السياسيون بدراسة مثل هذه الأحداث التاريخية دراسة سياسية عميقة والاستفادة مما خلفته من دروس إيجابية وسلبية على حياة تلك الشعوب ، كما أنه قد ذكر في هذه الخاتمة أن هناك دروساً سياسية كثيرة لا مجال هنا لحصرها والتي لو استفاد السياسيون منها أو من بعضها لتحقيق ما كنا نرجوه من وراء هذه الدراسة التاريخية السياسية ، ولاستطعنا بذلك أن نعيد للتاريخ حيويته وفعاليته في مجال أي تخطيط سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي في الحاضر أو المستقبل .

هذا وقد تكونت لجنة المناقشة من كل من :

الأستاذ الدكتور محمد محمود السروجي المشرف على الرسالة « رئيساً »
الأستاذ الدكتور عبد الحميد البطريق الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الرياض « عضواً »
الأستاذ الشيخ عبدالله يوسف الشبل أمين الجامعة « عضواً »

وقد تمت مناقشة الرسالة في ١/٨/١٣٩٩ هـ واقرحت اللجنة منحها درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث بتقدير « جيد جداً » .